بسم الله الرحمن الرحيم

الأربعاء 2/7/2014 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة دعوت ربي

تعظيم المسألة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

سبق أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الدعاء مخ العبادة**» [الترمذي].

عن عَامِرُ بْنُ خَارِجَةَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ جَدِّهِ سَعْدٍ أَنَّ قَوْمًا شَكَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَحْطَ الْمَطَرِ، فَقَالَ: «**اجْثُوا عَلَى الرُّكَبِ، ثُمَّ قُولُوا: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ**» [مستخرج أبي عوانة].

جمع العلماء من القرآن الكريم ومن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تقنيات الدعاء, أي أنت عندما تريد أن تنادي ربك هذا النداء, لا بد أن يكون له آليات معينة, تقنيات معينة, أي لو أنك أردت أن ترفع طلباً للمدير العام, فهناك نموذج لهذا الطلب, وإذا أردت تقديم طلب للمحكمة, فهناك نموذج معين, تريد تقديم طلب استرحام في الجامعة, يوجد نموذج لهذا الطلب وتكتبه بطريقة معينة حتى يكون أدعى للقبول, وهذا اختصاص... أهل التربية الروحية, الصالحون من العباد راحوا يجمعون من القرآن الكريم ومن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تقنيات الدعاء (ما هو النموذج الأمثل إذا أردت أن ترفع طلباً لرب العالمين؟), وسموها آداب الدعاء.

ذكروا في آداب الدعاء أموراً نعرفها جميعاً سأسردها لكني سأتوقف عند واحد منها.

قالوا مثلاً من آداب الدعاء: تحري أوقات الاستجابة, فمثلاً يوم الجمعة يوم إجابة, عند إفطار الصائم وقت إجابة, في الثلث الأخير من الليل وقت إجابة, يوم عرفات وقت إجابة, بعد صلاة الفريضة وقت إجابة, وجمعوا أيضاً أين أوقات الإجابة, لكنهم قالوا من آداب الدعاء تحري أوقات الاستجابة.

قالوا من آداب الدعاء: أن تكون متوضأً مستقبلاً القبلة جالساً جلسة التحيات.

قالوا من آداب الدعاء: أن يفتتح الدعاء بحمد الله تعالى وبالصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

قالوا من آداب الدعاء: أن يجزم بالدعاء ويوقن به.

قالوا من آداب الدعاء: أن يلح في الدعاء.

وقالوا في آداب الدعاء: -وأنا سأقف عند هذا القول- أن يعظم المسألة.

عندما تريد أن تسأل رب العالمين اجعل مسألتك عظيمة, لا تسأله أشياء تافهة وصغيرة. البعض يقول: أرجوك يا رب, لو تجعلني أقف على أبواب الجنة فقط, لو خلف الباب فقط... لا تسأل أشياء خفيفة عظم المسألة.

البعض يقول: أرجوك يا رب, خمسة وعشرون ألف ليرة فقط, سعر الخبز والزيت فقط... يا رجل عظم المسألة أنت تسأل العظيم.

ويقول آخر: يارب, فقط أريد النجاح (48+2)... عظم المسألة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُكْثِرْ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ» [مصنف ابن أبي شيبة], قال المناوي في شرح هذا الحديث: ((إذا تمنى أحدكم خيراً من خير الدارين فليكثر الأماني فإنما يسأل ربه الذي رباه وأنعم عليه وأحسن إليه)) [فيض القدير].

ألا تذكر بأنَّ الله خلقك من لا شيء وينميك ويكبرك ويعطيك, فسله فهو رب كريم معطاء عنده كثير قال: ((فإنما يسأل ربه الذي رباه وأنعم عليه وأحسن إليه فليعظم الرغبة وليوسع المسألة ولا يختصر ولا يقتصر فإنَّ خزائن الجود لا يفنيها عطاؤه؛ لأنَّ عطاءه جل جلاله بين الكاف والنون)) [فيض القدير].

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا سألتم الله فسألوه الفردوس» [صفة الجنة لأبي نعيم]. حينما تقول لله يا رب أدخلني الجنة فاطلب الفردوس. الفردوس هذه أعلى طابق في الجنة عرشها سقف الرحمن.

هل تعلمون ما هي أعلى منزلة يبلغها عبد من عباد الله تعالى غداً في الآخرة؟

اسمها الوسيلة, عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:«إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» [مسلم].

اللهم آت سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم الوسيلة, وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته. انظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو لا يريد الجنة ولا حتى الفردوس؛ بل يريد الوسيلة أعلى أعلى أعلى شيء, أعلى منزلة يطلبها عبد واحد.

إنَّ الله عز وجل أعلمنا في القرآن الكريم وصف المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان 74].

يا رب لا تجعلني إلا من المتقين, اجعلني إمام المتقين, عظم المسألة يا رجل, لا تقل له: يا رب أركز صلاتي, بل قل له: يا رب اجعلني من أوليائك الذين خبأتهم في خلقك.

سيدنا إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم يدعو فيقول: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء 84] يا رب اجعل كل الأمم التي ستأتي على هذه الأرض تثني عليّ.

الله أكبر عظم المسألة, بالله عليكم رب العالمين أعطى سيدنا إبراهيم أم لم يعطه؟! نحن في صلواتنا نقول: ((اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم)) فإذا سألت الله عز وجل فعظم المسألة.

كان سيدنا عبد الله بن عمر يقول في دعائه: ((اللهم اجعلنا من أئمة المتقين)).

انظر بالله عليك لهذا الدعاء من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيقول: «أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالسَّلاَمَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ» [الترمذي وابن ماجه] هذا دعاء يحيرني «وَالغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ» يا رب كل بر موجود على وجه الأرض أنت خلقته, يا رب اجعل لي منه غنيمة: صلاة, صوم, صدقة, بر الوالدين, صلة الأرحام, قضاء حاجات, بناء مساجد, مساعدة الخلق, حفر آبار, تعليم علم, إنشاء مشافي, «وَالغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ» ما هذه الهمة العالية لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم, يطلب من ربه عظائم الأمور.

يقول ابن عطاء الله السكندري: ((أفضل شيء تطلبه منه شيء هو طالبه منك)) مرة ثانية ((أفضل شيء تطلبه منه شيء هو طالبه منك)) ما الذي طلبه منا ربنا عز وجل؟

إتقان الفرائض, اطلب من الله عز وجل أن يجعلك من الذين يقيمون الصلاة حق قيامها, يطلب منك البعد عن الحرام, اطلب من الله أن يباعد بينك وبين الخطايا كما باعد بين المشرق والمغرب, طلب منك صلة الخلق بالبر, اطلب من الله عز وجل أن يجعلك مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر, ((أفضل شيء تطلبه منه شيء هو طالبه منك)).

ما رأيت أحداً سأل الله تعالى سؤالاً إلا أعطاه, فالخطورة في السؤال أما الجواب فمضمون, لذلك إذا سألتم الله عز وجل وكنتم في خلواتكم, وكنتم في جلواتكم فعظموا المسألة, لعلها تكون ساعة إجابة فيفتح الله تعالى عليك بما لا يخطر لك على بال.

كان شيخنا رحمه الله تعالى يقول لنا: ((يا بني كنت أدعو في دعائي أن يجعل الله تعالى على يدي هداية الشرق والغرب)) هو رجل بسيط, ابن عائلة بسيطة, ساكن في سفح جبل قاسيون, والجامع الذي هو فيه صغير الحجم, لكنه يسأل الله عز وجل, لا يسأل على حسب سيرته الذاتية, وأنت اسأل الله عز وجل بما يليق بالله عز وجل, وليس بما يليق بك.

كان يقول: ((اللهم اجعل على يدي هداية الشرق والغرب)) فتمر الأيام فيفتح الله عليه ويخرج للدعوة إلى الله في الاتحاد السوفيتي وفي دول الاتحاد السوفيتي, ويصير لديه طلاب من كل جمهوريات الاتحاد السوفيتي, ويذهب باتجاه أوروبا وأمريكا. قال: ((فمرة يا بني قلت:لم أنا أدعو بهذا, فصرت أقول: يا رب الشمال والجنوب أيضاً)) عظم المسألة؛ لأنَّ الله إذا أعطاك أدهشك, ولا تنظر إلى حالك وضعفك.

أما أنا وأنت ففقراء وضعفاء, وأما هو جل جلاله فعطاؤه يدهش, لذلك مهما كنت في تقصير, ومهما كنت في قلة إذا خلوت به عظم المسألة؛ لأنك تدعو رباً عظيماً.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.